تحسينُ الأخلاق قبل الهرم

لا تظنّ بأنّ الرذائل النفسانيّة والأخلاق الروحيّة غير ممكنة الزوال، هذا خيالٌ فَجّ، وهو من إلقاء النفس الأمّـارة والشيطان، يريدان منعك من سلوك طريق الآخرة وإصلاح النّفس. ما دام الإنسان في دار التغيّر ونشأة التبدّل هذه، فإنّ الممكن أن تتغيّر جميع أوصافه وأخلاقه، ومهما كانت المَلكات قويّة، فهي قابلة للزوال ما دام في هذا العالم، غاية الأمر أنّ ذلك يتفاوت بحسب شدّة التصفية وضعفها والجهد الذي يُبذل فيها.

طبعاً، في بداية وجود الصفة في النّفس يمكن إزالتها بقليل من الجهد والرياضة، كالغرسة الطريّة التي لم تضرب جذورها في الأرض، ولكن بعد أن تتمكّن الصفة في النّفس وتصبح من ملكات النّفس المستقرّة، فإنّ زوالها ممكن، إلّا أنّ الجهد الذي يستدعيه كبير، كالشجرة المعمّرة المتجذّرة، فإنّ جهد اقتلاعها كبير.

وأنت كلّما تأخّرت أكثر في اقتلاع جذور المفاسد الروحيّة التي تشكّل آفة، فإنّ جهدك ورياضتك يصبحان أكثر.

قال شيخنا الجليل والعارف الكبير الشاه آبادي روحي فداه: «ما دامت قوّة الشباب ونشاطها، يمكن التصدّي للمفاسد الأخلاقيّة بشكل أفضل، ويمكن أداء الوظائف الإنسانيّة بوجه أحسن».

لاتدع هذه القوى تتلاشى، ويحلّ أوان الهرم، فإنّ التوفيق آنذاك مُشكل، وعلى فرض التوفيق، فإنّ مشقّة الإصلاح كبيرة جداً، وعليه، فالإنسان العاقل الذي فكّر في مفاسد أمرٍ ما، فإذا لم يكن قد دخل فيها، فإنّه لا يحوم حولها، ولا يُلوِّث نفسه؛ وإذا كان لا سمح الله قد دخل فيها، فإنّه - وبأسرع ما يمكن - يُبادر إلى الإصلاح ولا يدعها تتجذّر، وإذا كانت لا سمح الله قد تجذّرت، فإنّه يقتلع جذورها مهما استدعى ذلك من جهد ومشقّة، حذَراً من أن تصل إلى مرحلة الإثمار البرزخيّ والأُخرويّ، وتظهر ثمرتها، لأنّه إذا انتقل بهذا الخُلق الفاسد من هذا العالم الذي هو نشأة التبدُّلات والهيولانيّة والتغيّرات الماديّة، فسيخرج اقتلاع ذلك من يده، وإلى أن يمكن تبديل خُلق من الأخلاق النفسانيّة في الآخرة والبرزخ فهيهات.

تظهر الملكات في ذلك العالم على قدرٍ من الشدّة والقوّة، بحيث إمّا أنَّ زوالها غير ممكن فيُخلَّد الإنسان في النار، وإمّا أنّها ممكنة الزوال ولكن بألوان الضيق والشدائد والنيران، وبعد قُرونٍ ربوبيّة.

فيا أيّها العزيز، الشيء الذي يُمكن إصلاحه في شهر أو سنة مع مَشَقّة دنيويّة جزئيّة، وتتخلّص بذلك من ابتلاءات الدنيا والآخرة، لا تدعه يبقى، ويقضي عليك.